

اختلاف الآراء

مقال للدكتور حامد طاهر

ترجع معظم مشكلات الأفراد والدول في العالم المعاصر إلى الاختلاف في الآراء ، وما يتبع ذلك من اتخاذ موقف رفض أو ازدراء أو إقصاء من الشخص أو البلد المخالف بل قد يصل الأمر إلى حد العداء المbarid أو المساخن .

لذلك كان من المضروري أن نتأمل قليلاً في أسباب اختلاف الآراء ، وهي متعددة ومتنوعة . فبعضها يرجع إلى قانون الصواب والمخطأ ، وبعضها تتدخل فيه عوامل سيكولوجية كالحقد والحسد والمغيرة ، وبعضها يرتبط أساساً بأهواء ومصالح شخصية واجتماعية .

ولو أثنا حاولنا أن نتجرد من هذه العوامل كلها — باستثناء قانون المصواب والمخطأ — لامكنا أن نقضى بسرعة على الاختلاف ، بل وأن نحوله إلى اتفاق بفضل الملجوء إلى قانون المصواب والمخطأ ، الذى يقوم على أساس المحاكاة إلى التجربة العلمية . ولهذه هى المدى تقرر آى الآراء هو المصواب وما سواه هو المخطأ .

ولتبسيط هذا المعرض المنظري دعني أقدم لك مثلاً قريراً : فإذا ذهبت إلى أن هذا الشيء لونه أبيض ، والدعيت أنها أنه أسود ، فمن الممكن أن نظل مختلفين فيما بيننا إلى وقت طويل ، وربما إلى ما لا نهاية ، لكننا إذا لجأنا إلى معمل آلةوان فإن نتيجة الفحص هي المدى ستتحسم الأمر ، وينتهي الاختلاف .

ومشكلتنا في مصر والعالم العربي أننا ما زلنا بعيدين عن المحاكاة إلى التجربة العلمية التي هي جوهر التقدم العلمي والمفكري في كل المجتمعات المتقدمة ، وهي المقدرة على إنهاء الجدل العقيم ، ووجهات النظر المتعارضة ، والمصارع بالكلمات الذي يتحول أحياناً وكما نشاهد إلى صراع بالكلمات !

وقد يسألنى أحدهم : قد يكون هذا صحيحاً في المجالات الحسية أو المادية ، لكن ماذا نصنع في المجالات المعنوية أو المفاهيم

المجردة؟ وهنا أقول بكل صراحة: ينبغي أن نبتعد عن هذه المجلالات ونتجنب تلك المفاهيم قدر الإمكان، وأن نتجه بدلاً من ذلك إلى تحسين أحوالنا المعيشية والارتقاء بحياتنا اليومية حتى تصبح أكثر نظاماً واتساقاً وتحقق المساعدة لكل أفراد المجتمع.

وهنا يبرز مبدأ المحاكاة: أي الاستفادة من كل التجارب الناجحة للمجتمعات التي سبقتنا في الوصول إلى مستويات أرقى في هذه الميادين. وهي بالمناسبة تتميز أولاً: بتطبيق التجربة العلمية على كل مجالاتها، وثانياً: بكثرة العمل، وقلة الكلام، الذي تدرك جيداً أنه لا يؤدي إلى أي نتيجة ذات أثر مفيد في الحياة.

ويكفي أن أقدم لك مثلاً من ألمانيا والميابان اللتين خرجن من الحرب العالمية الثانية سنة 1945 وبهما مدرستان بالكامل، ثم استطاعت كل منهما في حوالي عشرين سنة فقط أن تصبح في عداد الدول الكبرى في العالم.

أما الصين وهي العملاق القادر فحين زرتها وجدت أهلها يعملون ويعملون ويعلمون.. ولما يتكلمون إما وهم على مائدة الطعام. وعندما سألتهم عن ذلك قالوا: إن الطعام ثقافة، أي أنهم يتداولون الأحاديث ويطرحون المطраئ وهم يأكلون، ثم يقومون بعد ذلك لمواصلة العمل.

وفي الختام ، أود أن أشير إلى العبارة الشهيرة في الثقافة العربية والتي بطيب لنا جميعاً أن نرددتها وهي : إن اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية . وأصارحكم بأننى لم أجده هذه المقوله تتحقق فى الواقع أبداً ، لا على صاحب الرأى ولا على من يختلف معه ، بل على العكس وجدت أن الاختلاف فى الرأى عندنا يعدّ أحد أهم أسباب المعداوة والبغضاء ، وما خفى كان أعظم .